المدينة السبعة ، وفقهاء الأمصار في المدينة ومكة ، والبصرة والكوفة ، ومصر والشام ، واليمن وغيرها .

وفي القرن الثاني الهجري ظهر أئمة المذاهب المتعددة الذين حددوا لأنفسهم مناهج واضحة ، وقاموا بأعمال مجيدة ، والتَفّ حولهم التلاميذ والطلاب ، ورجع إليهم الناس والحكام ، فقلدوا مذاهبهم ، وجمعوا أقوالهم ، ودوَّنوا آراءهم التي صارت قائمة ومستقلة عن غيرها ، وكثر المجتهدون في هذا القرن ، وتعددت المذاهبُ ، وقام أصحاب كل مجتهد بإضافة الآراء الجديدة للحوادث فيه ، كما قاموا بتنقيح الأقوال السابقة ، ودعمها بالأدلة والحجج ، ورسم المنهج والقواعد والأصول له .

وكان القرن الثالث الهجري الذي ولد فيه الإمام الطبري ، ونشأ في ظلاله ، عصر الشباب والحيوية والنشاط للمذاهب الفقهية التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي ، وكان أتباع كل مذهب يسعون لنشره ، وتقوية أركانه ، مع تدريسه والتأليف فيه ، وتصنيف الكتب لجمع فروعه ، وربطها بالأصول والأدلة .

ولما ولد الإمام الطبري بآمل طبرستان ، ونشأ بها . حفظ القرآن الكريم ، وعمره سبع سنين ، ثم اتجه إلى أخذ العلوم الأولية في بلده ، ومنها الفقه لمعرفة الأحكام الشرعية ، واستمر على تحصيل العلوم والفقه على علماء بلده حتى ملأ جعبته ، وجمع الكثير الكثير منه ، مع ما يتمتع به من قوة الذهن ، وصفاء القلب ، وقوة الحافظة والذكاء المتقد ، والرغبة في المعرفة ، والحرص على التعلم ، والانكباب على الدراسة ، والتفرغ لذلك ، دون أن يشغله شاغل .

الرحلة في طلب العلم والفقه :

ولما بلغ الطبري رحمه الله تعالى العشرين من عمره خرج من بلده ،

ورحل في طلب العلم لتحصيله من علماء الأمصار المختلفة ، وأخذه من أفواه الأئمة مباشرة ، فاتجه إلى الري ، والتقى بعلمائها ، وأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه ، ثم رحل إلى العراق ، ويمم وجهه إلى بغداد للالتقاء بالإمام أحمد بن حنبل ، ولكن المنية عاجلت الإمام أحمد ، ثم اتجه صوب البصرة فسمع من علمائها ، وانتقل إلى واسط ، وسمع من شيوخها ، ثم ذهب إلى الكوفة وأخذ منها الحديث والقراءات ، ثم اتجه ثانية إلى الكوفة وتلقى فيها التوسع بفقه الإمام الشافعي على يد الحسن بن محمد الصباح الزعفراني (٢٦٠هـ) وغيره ، والتفت إلى الشام ، ثم مصر فوصل إليها سنة ٢٥٣هـ ، وظهرت شهرته العلمية ، والتقى الشيخ أبا محمد الربيع بن سليمان الجيزي الأزدي (ت ٢٥٦هـ) وأخذ عنه فقه الشافعية ، وذكر ابن السبكي في «الطبقات الوسطى» أن الطبري أخذ الفقه الشافعي أيضاً في مصر عن الربيع بن سليمان المرادي (٢٧٠هـ) ، كما أخذ الطبري في مصر فقه الإمام مالك على تلاميذ أبي محمد عبد الله بن وهب (١٩٦هـ).

ثم عاد الإمام الطبري إلى بغداد ، ومكث فيها مدة إلى أن حنَّ إلى وطنه مسقط رأسه بآمل ، فآب إليها ، لكن النهم العلمي والحرص على كسبه والزيادة فيه حمله مرة ثانية إلى السفر ، فاتجه إلى طبرستان سنة (٢٩٠هـ) ، ومكث فيها ملياً ، ثم سافر إلى بغداد ، وحل فيها رحله ، وألقى عصا الترحال ، وأقام بها حتى وافته المنية سنة (٣١٠هـ) ، قال ابن السبكي: «طوَّف البلاد في طلب العلم»[1].

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٢٠ ، ١٢١ هامش ، وانظر: طبقات الفقهاء ص ٩٨ ، ١٠٠ ، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٠ ، ٧١٣ ، طبقات القراء ٢/ ١٠٧ ، إنباه الرواة ٣/ ٨٩ ، معجم الأدباء ١٨/ ٥٣ ، تعريف عام بالعلوم الشرعية ص ١١٣ وما بعدها.

وكان الإمام الطبري في هذه الرحلة يلتقي بالعلماء والفقهاء ، فيأخذ منهم ، ويتفقه على أيديهم ، ويجمع مذاهب الفقهاء والأئمة ، ويحصي الأدلة ، ويطلع على وجوه الاستنباط والاستدلال ، ولما نضج عقله وظهرت مواهبه في البلاد التي حل فيها التفّ حوله الطلاب والعلماء ، فأخذ منهم ، وأخذوا منه ، وتبادل معهم المعلومات ، وسمع الحديث ، وقرأ روايات ، وجمع القراءات ، واطلع على اختلاف الفقهاء ، حتى صار من أشهر الفقهاء ، وأجل العلماء ، وأبرزهم.

ويظهر أثر الفقه والتفقه على الإمام الطبري في الفصول التالية التي سنعرض فيها وصوله إلى درجة الاجتهاد المطلق ، ثم استقلاله بمذهب فقهي خاص ، وفي كتبه الفقهية الخاصة بمذهبه ، وكتبه الفقهية على المذهب الشافعي ، وكتبه في علم الخلاف واختلاف الفقهاء والفقه المقارن ، وعلى تلاميذه وطلابه الذين أخذوا الفقه على يديه ، والتفوا حوله ، ثم اعتنقوا مذهبه ، وقاموا على نقله ونشره والعمل فيه حتى انقرض.

كما يظهر الفقه والتفقه على الإمام الطبري في كتابه العظيم في تفسير القرآن الكريم ، الذي وصل إلينا كاملاً ، والحمد لله ، وطبع عدة مرات ، فقد بيَّن الإمام الطبري رحمه الله تعالى آيات الأحكام ، وفسّرها بإسهاب وتوسع ، وبيّن فيها مذاهب الأئمة والفقهاء ، وأقوال الصحابة والتابعين ، ومنهج استنباط كل منهم واستدلاله في الآية ، ثم أدلى بدلوه ورجح أحدها بالدليل والحجة والبرهان ، أو عرض رأياً مستقلاً مع الدليل ووجه الاستدلال.

شيوخ الطبري في الفقه:

أخذ الإمام الطبري الفقه عن علماء بلده أولاً ، ثم على العلماء والفقهاء الذين التقى بهم في رحلته المباركة ، وكان الفقهاء ينتشرون في